زيـارة الشحـر

وصاحبها العطاس

عبد الله صالح حداد

زيارة الشحر

وصاحبها العطاس

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت (٢١٣) ٢٠٢٠م

زيارة الشحر وصاحبها العطاس

عبد الله صالح حداد

٢٠٢٠م

****

التنسيق

مكتبة المنار ـ الشحر ـ ت : ٣٣١٠٠٣

التنفيذ الطباعي

مركز الخيصة للتصوير والتجليد

حضرموت ـ فوة ـ المساكن

****

مدخل

كنت قد رافقت المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف لمدة مفتوحة عندما كلف من قبل سكرتير أول منظمة الحزب بمحافظة حضرموت السيد سالم محمد جبران وذلك لغرض وضع كتاب صغير تحت عنوان (لمحات من تاريخ اليمن وحضرموت).

وقد فضل الأستاذ محمد أن يضع كتابه هنا بالشحر، وبدار الضيافة، وقرر أن يسكن بيت صديقه الشيخ سالم هلال الحبشي، وكان العمل في الأساس مقترح من بعض أعضاء من مجلس الثورة (الدوما بالاتحاد السوفييتي) الذي رأى في زيارته والوفد المرافق لحضرموت،أن بعض أعضاء سكرتارية المحافظة الحزبية م/حضرموت لا تعرف بشكل أوسع تاريخ المنطقة خصوصاً البلد الذي يسكنونه ولا جغرافيته.

وقد بدأنا العمل صباح يوم السبت ٧ صفر ١٤٠٤هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٨٣م وطلب الأستاذ مني أن أحضر كتابه الصغير (المختصر في تاريخ حضرموت العام) وكتاب الشيخ سعيد عوض باوزير (صفحات من تاريخ حضرموت) وكتاب محمد بن هاشم العلوي (تاريخ الدولة الكثيرية) وكتاب الشيخ محمد أحمد الشاطري (أدوار التاريخ الحضرمي) وكتاب المؤرخ صالح علي الحامد (تاريخ حضرموت) وكتاب القاضي محمد علي الأكوع (اليمن

الخضراء..) وكتاب المؤرخ أحمد حسين شرف الدين (اليمن عبر التاريخ).

وكان العمل يبدأ من صباح كل يوم من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً وكان الحضور إلى مقر العمل ببيت الضيافة الساعة السابعة والنصف يكون عندها تناول وجبة الإفطار ثم نبدأ العمل في الثامنة تماماً وهناك وقفتين كل منها ١٥ـ٢٠ دقيقة.

في تلك الفترات القصيرة كنت أقدم له بعض الأسئلة التي تعن لي والذي لم أفهم مقصود بعض العبارات الواردة في قراءاتي الشخصية لتاريخ حضرموت، إنها أسئلة بسيطة لكني أهدف منها إلى معرفة شيء عنها، ومنها أنه في محرم ١٤٠١هـ الموافق نوفمبر ١٩٨١م أصدرت سكرتارية منظمة الحزب بمديرية الشحر قراراً بوقف ممارسة زيارة الشيخ سالم بن عمر العطاس الحولية التي تقام في النصف من شهر محرم من كل عام.

صحيح أني أعرف عن هذه الزيارة من صغري حيث أصطحب جدي لأمي الشيخ مبروك جمعان دريقان صاحب مؤسسة دريقان التجارية ومركزها الرئيس بمدينة الشحر وفروعها بالمكلا وعدن ومدينة صلالة بسلطنة عمان ـ رحمه اللهـ وكان يحملني معه للزيارات القريبة في نفس مدينتنا الشحر وفي القرى المحيطة بالمدينة كزيارة مسجدي بالمعيان وزيارة باثقيلة بقرية زغفة وزيارة أحمد بن صالح بشعب النور وزيارة عمر المحضار بقرية الواسط، فقط، ولا نحضر الزيارات الأخرى في المديرية مثل زيارات مكنون

بالحامي وزيارة عمر المقدي بالمقد وزيارة باحميد بعرف وزيارة يمعوض وعاييات والأخريات في قرى ومدن حضرموت ولهذه الزيارات مثيلاتها في كل أجزاء جنوب الجزيرة العربية من العالم العربي وإن اختلفت الأسماء، ففي المصر يقال لمثل هذه الزيارة (المولد) وهناك كتاب بعنوان (الزيارات والأولياء في تهامة) من تأليف الأستاذ عبد الله خادم العمري وصدر عن وزارة الثقافة والسياحة بصنعاء في عام ٢٠٠٤م عام الثقافة العربية.

ولم يمكث في ذاكرتي أي من تلك الزيارات وأي فوائد نجنيها من حضورنا لتلك الزيارات غير الوقوف أمام أضرحة أصحاب هذه الزيارات وأن يضع جدي ـ رحمه الله ـ يده اليمنى على قبر أي من هؤلاء ثم يرفعها إلى رأسي ووجهي وصدري بقصد التبرك لا غير، ثم إني أرى الزوامل المختلفة والرقصات الشعبية والباعة الثابتون على الشارع الرئيس والممتد إلى مدخل ضريح ذلك الولي.

ثم إني كنت أحد المعجبين بالرقصات الشعبية وخاصة رقصتي العدة والشواني الشعبيتين وحبرت كتيباً صغيراً بعنوان (رقصة العدة) الذي صدر مطبوعاً ضمن سلسلة منشورات فرع المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف عدد (٨) بالمكلا في سبتمبر ١٩٨٠م.

وأتذكر أنه في يوم الزيارة مع إيقافها هب الناس من أهل الشحر ومن بعض الأرياف القريبة، وهناك تكاثروا في ساحة القبة،

قبة صاحب الزيارة الشيخ سالم بن عمر العطاس، ربما فضولاً وهناك انتشر الباعة للحلويات والأكلات الشعبية وألعاب الأطفال لكن دون رقصات العدة التي يقوم بها كل أحياء مدينة الشحر مع عدة أهالي غيل باوزير.

وتجمع عدد من أصدقاء الشاعر حسين أبو بكر المحضار وعشاق فنه وأعضاء جمعيته في غرفته الأمامية التي تشرف على الجزء الأول من ساحة الزيارة، وكان الكتيب الذي قمت بإعداده (رقصة العدة) على أحد رفوف نوافذ الغرفة، وكان من باب النكتة اللطيفة أن يقول المحضار خلاص من لا يعرف رقصات العدة يقرأ كتاب حداد، كان صدى إيقاف الزيارة مثار نقاش وأخذ ورد بين المؤيدين والمعارضين لإلغاء هذه العادة.

ولما كنت مرافقاً لأستاذي المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف وهو يؤلف الكتاب المطلوب من قبل سكرتير لجنة محافظة حضرموت الحزبية أستغل فرص الراحة والتوقف الذي يفرضه الأستاذ على نفسه أثناء عمله، وكان موضوع إلغاء الزيارة مثار النقاش بين الناس انعكس علي ورغبت في معرفة الكثير عن هذه الشخصية سالم بن عمر العطاس وعن زيارته هذه المقامة سابقاً والملغية حالياً، ولم يكن سؤلاً واحداً ولكن الأمر تعدى السؤال الواحد في تلك الأيام وفي زياراتي لأستاذي في منزله بالمكلا وعند حضوره سنوياً للشحر للمشاركة في الاحتفالات التي تقام بذكرى مقاومة الغزو البرتغالي على مدينتنا الشحر.

إن الذي كتبته وأنشره اليوم لم يكن إلا ملخصاً لأحاديث متواصلة عن الزيارة وصاحبها الشيخ سالم العطاس ومعلومات من هنا ومن هناك.

وهذه ملاحظة هامة فقد جاء في كتاب المؤرخ عبد الله محمد باحسن المخطوط (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) بأن وفاة الشيخ سالم بن عمر العطاس صاحب الزيارة هي كما جاء نصاً: (وكانت وفاة المترجم له ... سنة ١١٩٤هـ أو ١١٩٥هـ رحمه الله) وتكرر مثل ذلك في صفحة ٢٠٧ من الكتاب الذي حققه الدكتور محمد عبد النور ولكن في المقابلة التي أجراها صديقنا الصحفي الأستاذ سالم غالب بن بريك (انظرها في آخر الكتاب) قال الأستاذ: (توفي في ٢٥ ذي الحجة ١٢٢٥هـ) وهو خطأ وأظن أن أحدهم قد اعتمد على الذاكرة الأستاذ محمد أو صاحب اللقاء أو الناشر ومعهم المصحح لذلك اللقاء أو أن تصحيفاً أو سهواً.

إن تأييدي لما جاء عند المؤرخ باحسن وتأكيدي لصحته هو أن الأمير البريكي الثاني علي بن ناجي الأول الملقب القحوم كان حاكماً على دويلة آل بريك هذه كان ما بين ١١٩٣هـ إلى ١٢٢٠هـ وهو من بنى القبة على قبر الشيخ سالم بن عمر العطاس ودفن داخلها أخاه حسين بن ناجي وهو صاحب المعيان الشهير بقرية معيان المساجدة وهو المقرون باسمه (معيان حسين) وقبر بالقبة أيضاً غيره.

لقد ذكر لي الأستاذ محمد جواباً لأحد أسئلتي: فقد مات سالم بن عمر العطاس في ٢٩ ذي الحجة أو ١ محرم، وقبر كما يقبر الناس ولهذا فإن التوسعة أي قراءة القرآن على قبره تأخذ ثلاثة عشر يوماً وبعدها تبدأ الزيارة.

ومن أجوبة الأستاذ محمد عبد القادر التي كنت أطرحها عليه حول الزيارة وصاحبها قوله: (إن آل بريك أقاموا القبة حول قبر الشيخ العطاس لغرض دفن موتاهم فيها مثلما أقام آل كساد قبة الشيخ يعقوب بالمكلا لنفس الغرض) وحول الاهتمام بأمر الزيارة قال: (أوقف آل بريك فردة ماء بأحد معابين قرية تبالة لمقام الشيخ سالم بن عمر) وأشادوا عدداً من السقايات على طول الطريق إلى الضريح.

وجواباً لسؤالي كيف بدأت الزيارة ومن الذي أشادها قال ما سأحاول أن أسجله كاملاً: (في دولة آل بريك اختصم اثنان أحدهما معروف بأنه تدروش ومات في مدينة مسقط العمانية وأما الآخر فقد نذر على نفسه بأنه إذا انتصر على الآخر أن يعمل زيارة للولي العطاس أي سالم بن عمر العطاس، وفعلاً عمل بما نذره على نفسه، فكان من ذلك العم تعمل قراءة على قبره من يوم وفاته إلى يوم ١٣ من شهر محرم من كل عام ويقام الحول، ودعوا المناصب أي نقباء الفئات ووراءهم أخدامهم من أهالي الشحر فآل العيدروس وراءهم آل حي عقل باعوين وآل حي الحوطة خلف آل بن إسماعيل وأهل الخور وراء آل الشيخ فضل وأهل حي القرية خلف آل الهدار وآل حي المجرف خلف آل الشيخ سعد الظفاري أما آل حي الباغريب فكانوا تبعه وسمعه ثم خلف آل الجنيدي الذين سكنوا الحي بعد

مجيئهم من منطقة دثينة بجنوب الجزيرة العربية ويشارك أهل غيل باوزير أصحاب القبع وكانوا يقيمون الابتهالات المغناة على عشوي أي جدار أشبه بالمسرح يقع شرق القبة ويتغنون مصطحبين معهم الآلات الإيقاعية والشبابة (الناي المحلي) ثم طورت هذه إلى رقصات العدة الشعبية.

ولما خرج أهل عقل باعوين على آل العيدروس بعد أحداث تفرق أهل الحي إلى جماعة البرمة وجماعة الطست بسبب الخلاف حول منزل مقدم الحي بكار سعيد زحفان، اعتمدوا آل الشيخ أبو بكر مناصب لهم وأركبوهم على جمل عند زيارتهم للضريح وعند أوبتهم من زيارة أخرى هي زيارة أحمد بن صالح مول قرية شعب النور وحتى وقت قريب وكان يتقدم رقصات العدة من كل حي مناصبهم)

واستطرد الأستاذ محمد قائلاً: (وكانت عدة أهل الغيل تمر بالساحل إلى قبة سالم بن عمر، فلما كان الأمير حسين بن عبد الله القعيطي متولياً على الشحر وأخاه منصر بن عبد الله متولياً على غيل باوزير عندها تقدم أهل الغيل عنده بشكوى بسبب مرورهم بالساحل بعدتهم وكانوا يتعبون من الرمل على ساحل البحر مع دوران السنة ودوران الأشهر والمد والجزر وأيضاً يصلون إلى قرب الضريح قبيل المغرب من ذلك اليوم فلا يشاهدهم أحد عند تقديم رقصاتهم وألعابهم وكان مقدمهم آنذاك الشيخ عوض عبد الله بامطرف فتقدم الأمير منصر إلى أخيه الأمير حسين بهذه الشكوى فاقتنع الأمير حسين بالأمر وفرض مرور عدة أهل الغيل بشارع (رقيص عمرو) ووافقت كل أحياء المدينة إلا أهل حي عقل باعوين

ولهذا كان التوسط من جانب أهل الغيل وممثلهم المقدم الشيخ عوض عبد الله بامطرف إلى آل بامطرف من سكان الشحر فرفع هؤلاء أنفسهم عن ذلك لأن أصحاب حي عقل باعوين هددوا بالمنع ورفضوا مرورهم بالتكتل للعراك، وعلى أي حال لم يحصل أي شيء لأن الأمير حسين بن عبد الله رافق عدة أهل الغيل حتى ضريح وقبة سالم بن عمر العطاس، وهكذا استمرت الزيارة وكل يزيد فيها من الحكام ومن العلويين ومن المشايخ ومن مقادمة الحويف).

ولقد لفت نظري قوله: (ولم يحصل أي شيء) وبهذا نكون مخطئين عندما نصدق خبر المعركة الوهمية التي تساق هنا في الشحر بأنه قد حصل اشتباك بين حي عقل باعوين والراقصين من حي أهل الغيل، وسقط على أثرها سبعة أشخاص من أهل الغيل قتلى أوجرحى وكان الشعراء يلمزون بهذه الحادثة شعراء مدارة الشواني في تلك الزيارة وفي غيرها ومنها أن الشاعر الشعبي حسين باخميس الحباني قال في مقابلة شوانية مع الشاعر الشعبي الكبير أبو سراجين:

أنت معك واحد وناب ركعت سبعة يا الصور
وأنت تخبر عا ديار الغيل هتهن دار دار

وقد رفض الشاعر محمد أحمد بن هاوي باوزير المكنى (أبو سراجين) هذه القضية من أساسها واعتبرها دعاية صدقها الآخرون ووضع سؤالاً عن أسماء هؤلاء الذين سقطوا من أهل الغيل في هذه المعركة وقد سألت أستاذي محمد بامطرف عن هذه الحادثة وخاصة

جواب الشاعر أبو سراجين فقال إنه عليهم هم معرفة قتلاهم وليس على الآخرين معرفتهم.

ولكن ربما كانت مرافقة الأمير حسين بن عبد الله القعيطي عدة أهل الغيل في السنة الثانية من قراره بالمرور بشارع رقيص عمرو أما في السنة التي قبلها فقد حدثت فيها تلك المعركة السيئة الصيت، وعلى أي حال فإن هذه الأمور نذكرها استطراداً جرنا إليها بعض الأسئلة التي كنت أطرحها على أستاذي محمد عبد القادر بامطرف في أيام مكوثه في الشحر لغرض تأليف كتابه (لمحات من تاريخ اليمن) والذي صدر على آلة النسخ في ١٥ نوفمبر ١٩٨٣م.

ولا أدري هل من حقي أن أسجل هنا بعض من إجابات الأستاذ على أسئلتي أم أن هذا سيخرج بنا إلى خارج موضوع الكتاب الذي نحبره الآن حول زيارة الشيخ سالم العطاس الحولية، ولكني أرى أن أذكر بعض الأجوبة لتلك الأسئلة لأني إذا لم أذكرها هنا فلعلي لا أستطيع ذكرها ونشرها في موقف آخر غير هذا ومنها:

** أن آل العطاس العلويين الحضارمة هم نسل الشيخ عقيل بن سالم وهو أخ للشيخ أبو بكر بن سالم صاحب بلدة عينات بوادي حضرموت.

** وأن آل بريك وآل كساد ينتميان لمكتب ذي ناخب اليافعيين.

** وأن آل كساد ممثلين في أمرائهم يحضرون مشاركين في احتفالات الزيارة وقت سلمهم مع آل بريك حكام الشحر.

** إن آل مخارش من القعيطيين وهم يقولون هذا ولم يعترض أحد من القعيطيين على ذلك.

** إن آل بافضل الذين يسكنون الشحر من أهل تريم وهو من مذحج من سعد العشيرة.

** وإن آل باعباد من قبيلة نجيب من كندة.

** إن بيت شنين من أصول يافعية.

** وإن التصوف واجهة إعلانية للشيعة.

** وقال: أكره الحركة الشيعية، وهي حركة فارسية /إيرانية همها تفريق العرب والإسلام، ولهذا تراهم ناصروا أول الأمر العباسيين ثم وقفوا مع العلويين، وكانوا وراء كل ما من شأنه القضاء على الإسلام وضعف العرب.

هكذا عرفت الرجل عالماً ومعلماً:

هذه قصاصة من حديث أجراه صديقنا الأستاذ سالم غالب بن بريك وقد نشره بصحيفة الشرارة المكلاوية بعد وفاة المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف في ١٩٨٨/٧/١م، وقد نشر بالعدد (٦٠١) الصادر في ١٢ محرم ١٤٠٩هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٨٨م، وقد اقتطفت منه ما يتعلق بزيارة الشحر الحولية لسالم عمر العطاس:

بدأ الحديث الأستاذ محمد قائلاً:

م: هل زرت الشحر قريباً؟

س: لا.. ولكني زرتها من مدة، أثناء زيارة سالم بن عمر العطاس.

م: هل تعرف لماذا تقام هذه الزيارة سنوياً؟

س: كما أسمع يقال إنه أحد الأولياء الصالحين.

م: سالم بن عمر العطاس هو رجل دين ومصلح اجتماعي توفي في ٢٥ ذي الحجة ١٢٢٥هـ(*) وشاهدت شخصياً تاريخ وفاته مكتوباً على قبره، ولكن بعد مدة من الزمن قمت بزيارة للقبر فلم أجد التاريخ فقد مسح.

م: استطرد الأستاذ بامطرف قائلاً: قصة هذه الزيارة جاءت عندما نشب خلاف بين علي بن ناجي ومحسن حسين حول من يمسك بسدة الحكم في الشحر.. ونتيجة لهذا الخلاف انقسمت الأسرة الحاكمة إلى فريقين متنازعين.. وهنا وعد علي بن ناجي بأنه إذا آل الحكم إليه سيعمل زيارة سنوية عظيمة لمقام سالم بن عمر العطاس وقام بنشر الخبر على العامة عن طريق الدلل وبعد أن تم الصلح بين المتنازعين وآل الحكم إلى علي بن ناجي وفى بوعده.. ومن ذلك التاريخ تقام هذه الزيارة.

س: كان يتحدث وكنت أدون كل كلمة يتفوه بها.. ثم قال:

م: لقد وجدت الخرافات والبدع طريقها إلى عقول الناس وحمل الأموات صفات ترفعهم إلى منزلة الأنبياء ونسجت حولهم الحكايات والخوارق..

س: وهنا ارتفع صوت المؤذن من المسجد المقارب لمنزله.. فأيقنت بانتهاء الزيارة، قلت له:

(رأس بو عوبث غلب ما يعاهد ع الصلاة) فابتسم وأدرك قصدي.. قائلاً:

م: (سوق بن ناجي على بوه من عاد جاه)، نهضت مصافحاً إياه على أمل اللقاء به، ولم أدري أنه الوداع الأخير، فقد فارقنا إلى الله تعالى في ١ يوليو ١٩٨٨م بالمكلا.

لقد كانت وستظل سيرة وحياة محمد عبد القادر بامطرف جزءاً من تاريخ حضرموت المعاصر.. كما أنه لا يمكن لباحث أو مؤرخ أن يكتب عن تاريخ حضرموت دون أن يشير إلى اسم هذا المؤرخ القدير ومؤلفاته التي أضحت مفاتيح لجيل اليوم من الباحثين عن الصفحات الضائعة والمخفية من تاريخ اليمن.

(*) أرجو الالتفات إلى تاريخ وفاة الشيخ سالم عمر العطاس الخطأ.

زيارة الشحر وصاحبها العطاس

في محرم ١٤٠١هـ الموافق نوفمبر ١٩٨١م أصدرت السلطات بمديرية الشحر قراراً بمنع زيارة العطاس السنوية نهائياً وهي الزيارة التي تنعقد في ليلة النصف من محرم من كل عام، وكانت السلطات آنذاك ترى أن هذه الزيارة لا تتفق وأيديولوجيتها ومنذ ذلك التاريخ هبط مستوى الاهتمام بها وقل حجم الاحتفال بمناسبتها وانخفض كثيراً عدد الوافدين لحضورها رغم محاولات بعضهم في العقدين الأخيرين لإعادتها إلى ما كانت عليه في السابق وكنت منذ أن وعيت وإلى العام المذكور أرى تقاطر الناس من المدينة ومن خارجها للمشاركة فيها دون انقطاع.

صاحب الزيارة:

ولكن من هو الذي يلتف الناس جميعاً حول ضريحه ويقيمون تلك الاحتفالات السنوية وما يعمل على هامشها من نشاطات ثقافية وسياحية وتجارية؟ إنه سالم بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن العطاس ينتمي لآل العطاس العلويين سكان مدينة حريضة ويعرف بصاحب الشحر، لم أجد له ترجمة في غير كتاب الشاعر المؤرخ عبد الله محمد باحسن المخطوط (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) والمعروف بأخبار الشحر لكن كتاب (تذكير الناس بكلام احمد بن حسن العطاس لم يزد على قوله أنه كثيراً ما يردد لا

إله إلا الله وإذا زاد على الألف يقفلون عليه الباب ولا يفيق إلا بعد ثمانية أيام، ولم يذكره عبد الرحمن المشهور في كتابه (شمس الظهيرة) لكنه ذكر جده عبد الله بن عمر قائلاً أن عقبه منتشر وعدد بعض المدن والقرى ومنها الشحر وأنهم يعرفون بآل عبد الله بن عمر.

وعده باحسن من مشايخ الشحر وهو عنده الرابع وقال: (بركة الزمان وعين الأعيان... طلع من بلده حريضة إلى الشحر قبل تملك بن بريك الشحر وربما طلع قبلهم بمدة يسيرة وقد حصل على يده إصلاحات في ما بين آل بريك وآل يافع وكان عظيم الحال) وربما نسب إليه نوع من الجذب، وقال عنه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف: (رجل دين ومصلح اجتماعي توفي في ٢٥ ذي الحجة ١٢٢٥هـ وشاهدت شخصياً تاريخ وفاته مكتوباً على قبره، ولكن بعد فترة من الزمن قمت بزيارة للقبر فلم أجد التاريخ فقد مسح) جاء ذلك في لقاء أجراه الصحفي سالم غالب بن بريك ونشره بعد وفاته (صحيفة الشرارة عدد (١٠٦) ٨٨/٨/٢٤م)، ولا أدري من منهما اعتمد على الذاكرة فقد جاء عند باحسن أنه توفي عام ١١٩٤ أو ٩٥هـ وقد ذكر ذلك مرة أخرى في الجزء الثاني وتاريخه المذكور، ودفن في مقبرة آل الحفرة وهم من أحفاد الشيخ أبو بكر صاحب عينات.

المتوارث بين أهل الشحر أن العلامة علي بن حسن العطاس/ صاحب المشهد (١١٢١ ـ ١١٧٢هـ) (١٧٠٩ ـ ١٧٥٩م) شاهده شاباً مع آخرين يمارسون رقصة شعبية بإحدى قرى وادي عمد قيل أنها (بلاد المراضيح) فنصحه بالتوجه إلى عينات التي

مكث فيها فترة لغرض التعليم لكن باحسن يقول: (وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب) وظل يتردد على مدينة الشحر قبل أن يستقر بها ويتزوج من ابنة عبود بن سالم قحطان بن بريك وكان أغلب أولاده منها وله عقب غير هؤلاء بقرية بعتق وغيرها، (باحسن - خ).

إمارة آل بريك:

عاش المترجم له السنوات الأخيرة من حكومات الطوائف، وتأسيس دويلة آل بريك بالشحر، وكانت الطوائف ليافعية قد فرضت سلطاتها المنفردة على إثر سقوط الدولة الكثيرية حوالي سنة ١٧٢٠م، وكانت قد أبقتهم كحاميات في مدن وقرى حضرموت.

ففي مدينة الشحر فرضت أربع طوائف سلطتها عليها، مما نستطيع أن نقول عنها أنها (حكومات الحارات) وكان آل بريك متمركزين في وادي خرد وشرق المدينة.

(ففي عام ١٠٨١هـ أصبح آل بريك قوة متنامية طغت على بقية المكاتب الموجودة في المدينة ونازعتهم السلطة وكان المد التاريخي في صالحهم) (بامطرف، سبيل الحكم) وفي عام ١١٦٥هـ أعلن تأسيس إمارة آل بريك وكان مؤسسها الأمير ناجي بن عمر وعند وفاته خلفه ابنه علي بن ناجي بن عمر بن بريك الملقب (القحوم).

وعلينا هنا أن نلتفت إلى قول باحسن : إن على يد المترجم له سالم بن عمر تمت إصلاحات بين آل بريك ويافع ويقصد الآخرين

الذين يحكمون أجزاء أخرى من المدينة ولم يذكر باحسن شيء من تلك الإصلاحات مما جعلنا نتشكك في الأمر وإنما جاء قوله على ضوء الاهتمام الرسمي والشعبي لزيارته السنوية إذ أن هذا لا يستقيم مع قوله إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب وينسب إليه شيء من الجذب وبدلاً من ذلك ساق لنا بعضاً من الكرامات وخوارق العادات وهي مما يعتاد كتاب المناقب التركيز عليها.

من تلك الكرامات أن سعيد بن عمر بن بريك ضرب رجلاً من يافع ببندقه ولما نقل إليه قول المترجم له أن (بندقه لا يقتل) كسره على حجر فكان غلق هذا البندق مكحلاً للشفاء من الرمد وعلق باحسن (ولا يخفى ما في هذه المنقبة من جملة الكرامات منها حصول الشفاء للمضروب وقد أشرف على الهلاك ومنها حصول الشفاء أيضا من الرمد بالاكتحال ببعضه ومنها تسكين الفتنة الواقعة بين الفريقين).

ولسنا في حاجة لذكر بقية الكرامات في مقامنا هذا لكن لدينا الحق كل الحق أن نتساءل عن هذا الجاه الذي حظي به هذا الرجل لدى الخاصة والعامة والجهات الرسمية والشعبية المتمثل في الاحتفال بزيارته السنوية.

لقد قيل أن أمراء آل بريك هم الذين أشادوا الضريح المقام على قبره وأقاموا له الزيارة وذلك كي يقبر أصحاب الإمارة فيه كما فعل آل كساد حكام المكلا بإقامة الضريح حول يعقوب ولنفس الغرض فهي إذن عيد الحكومات وربما لتقاسم الجاه مع صاحب الضريح كهدف سياسي أو لتوجيه الأنظار إلى عاصمتهم كمدينة

اقتصادية تؤدي ما يعتمل الآن في مدن كبيرة كمدينة دبي وغيرها وتعرف بمهرجانات التسوق وعليه فإن الأمر يوحي بأن الدولة هي التي أشادت لصاحب الضريح هذا الطابع القدسي والجاه الرفيع فقد كان الأمير يخرج إليها بنفسه ويدعوا إليها آل كساد وقد وقف آل بريك فردة ماء من أحد معابين قرية تبالة لمقام الضريح.

ولربما يكون للاعتقاد الشعبي دوره الفاعل وأثره المؤكد لإقامة هذه الزيارة على الأقل في زمن أبعد مما نحن فيه فقد ذكر باحسن أن السلطان عبد الله بن عمر القعيطي سلطان الشحر أمر بتوقيف الزيارة دون أن يذكر لنا دواعي التوقيف وقال: (فما مضت ثمانية أيام من الواقعة إلا والدولة المذكور راقد في لحده) وقد وقع هنا في وهم وأظن أن هذا الاعتقاد هو الذي أوقع مؤرخاً مثله إذ أن الزيارة تكون في ١٤ محرم فإذا أضفنا ثمانية أيام تكون ٢٢ محرم هو يوم وفاة السلطان على رأيه بينما تاريخ وفاة السلطان عبد الله هو ٢١ ربيع الأول ١٣٠٦هـ وهو مكتوب على قبره بقبة الفقيه عبد الله عبد الرحمن بافضل بالشحر.

أما إذا كان قد وضع ذلك من عنده وقصده فهو هنا يضع طوبة مشارك مع غيره في بناء الهيكل القدسي حول الضريح وصاحبه لأننا نعرف أن الزيارة قد توقفت مرات كثيرة وأن بعض الأحياء لم تشارك في بعض السنوات لأسباب عديدة ثم إن الذين أوقفوا الزيارة بمرسوم حكومي عام ١٩٨١م هما المأمور والمسؤول السياسي آنذاك لا زالا يعيشان بيننا ولم ينالهم أي مكروه جراء ذلك.

في تلك الليلة زار حسين المحضار صديقه المقاول المعروف سعيد بهيان وقال له:

ما ذي السنة ولعاد بو (هاجر) في الوحدة فقع
زيـارة العطاس ذبحوهـا عطوا ابوهـا السكين

فأجاب الشاعر المحضار وقال:

يا (فضل بن عباس) ريتك جد (باعامر) تقـع
ويكون (سالم بن عمر) جد (آل سالم سالمين)

إن الله هو الذي يحيي ويميت ولن يضر الإنسان أي مكروه ولو اجتمع أهل السماوات والأرض على ذلك إلا ما كتبه الله سبحانه وتعالى له فعبارة باحسن (حصول الشفاء للمضروب وقد أشرف على الهلاك) وقول (إلا والدولة المذكور راقد في لحده) لا تتناسب مع الحقيقة.

إن قول باحسن (ربما نسب إليه بعض الجذب) يفيدنا بأن المترجم أصيب بهذا الداء على الأقل في آخر حياته، وكان هناك من يشيع بين الناس بأن هؤلاء المجاذيب حقيقة لا مراء فيها.

ومن كلام أحمد بن حسن العطاس في كتاب (تذكير الناس) ما حدث مع محسن بن حسين العطاس الذي أتاه محمد سباعي وهو مجذوب من أهالي الشحر، يطلب اليسير من القطع النقدية (ست خماسي) فامتنع فكشف له السيد أبو بكر بن عبد الله العطاس أن ماله الآن يرمى في عرض البحر وهو يريد أن يقول لنا أنه لو أعطاه تلك

القطعة النقدية لسلم من الرمي، يعني أن السباعي مرفوع عنه الحجاب. (انظر الكتاب ٢٨٩).

ويروي أهل الشحر الكثير من الحكايات عن سباعي المجذوب ولن نعفي أنفسنا من ذكر واحدة منها على الأقل، لقد جرى سباعي خلف بدوي وهو يقود جمله في سوق مدينة الشحر مطالباً إياه بمنحه كبد الجمل الحي ولم يفهم البدوي شيئاً وسقط الجمل ميتاً، لقد كان سباعي برى أن الجمل يسير إلى حتفه فطلب من البدوي بطريق غير مباشر أن يذبح الجمل ويمنحه الكبد.

ولا يخفى على أحد أن الناس هنا يكبرون هذا المجذوب ويرون فيه وفي غيره من المجاذيب ما لا يراه الآخرون، ويذكرون أن الأهالي خرجوا لتشييع جنازته عن بكرة أبيهم، ولم يصل جثمانه إلى مقره الأخير بمقبرة (عيديد) إلا وهو عريان من كفنه، لقد فرقوه قطعة قطعة كي يحتفظوا بها تبركاً بهذا الولي الصالح المكاشف.

ويذكر في مثل هذا المقام حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثر أهل الجنة البله) وهو حديث طالما ردده الوعاظ والدعاة والمذكرون في بلادنا وكان نتائج وعظهم أن اعتبر(محمد سباعي) وأشباهه أولياء، وقد أورد هذا الحديث المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ) في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) وقال: (رواه البيهقي والبزار بسند فيه لين.. قال عقبه إن هذا لإسناد منكر.. بل قال ابن عدي إنه منكر) ثم أورد العجلوني آراء

حول ما تعنيه كلمة (البله) لأكثر من واحد، وأضاف (ومثله قول القرطبي هم البله عن معاصي الله) وقال في النهاية (البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس لأنهم غفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة فأما الأبله وهو الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث) ج١٦٤/١، ولم يكن هذا إلا رأياً محتملاً وقوعه وقد أملاه علينا قول المؤرخ باحسن.

على أن هناك فرضية أخرى وهي أن يهتم أهل المترجم له ومن يمت إليهم بصلات قربى أو مصلحة بخلق هذه الهالة من القداسة حول ضريحه وإقامة الزيارة والحفاظ عليها والتي لها أشباه ونظائر في العالم العربي والإسلامي في مصر والمغرب وتونس وغيرها كمولد السيدة زينب والسيد الحسين والسيد البدوي في مصر وسيدي منصور في تونس قال الأستاذ بامطرف في اللقاء المذكور آنفاً حول هذه الزيارات وغيرها (لقد وجدت الخرافات والبدع طريقها إلى عقول الناس وحمل الأموات صفات ترفعهم إلى منازل الأنبياء ونسجت حولهم الحكايات والخوارق).

مؤسس الزيارة:

ذكر المؤرخ باحسن الزيارة في مخطوطه التاريخي فقال: (والذي أسس الزيارة المعهودة كل سنة في نصف المحرم عاشور لسيدنا سالم بن عمر المتقدم ذكره هو الدولة الصالح علي بن ناجي القحوم) وهذا الأمير الملقب بالقحوم هو الأمير الثاني في الإدارة البريكية حيث تولى الحكم بعد أبيه مؤسس الإمارة ناجي بن عمر

المتوفي عام ١١٩٣هـ وكان المؤسس قد تمكن من الإطاحة بالطوائف الأخرى المشاركة في حكم مدينة الشحر ولكنه توفي قبل أن يتمكن من القضاء على ابن معوضة الذي كان له حصن بمرير الذي يقع إلى الغرب من مدينة الشحر ويبعد عنها بحوالي ثمانية كيل، ومنه كان يأخذ الضرائب على الذاهب والآيب من الغيل والمكلا إلى الشحر وقد استعصى الأمر على الأب المؤسس.

ويقول الرواة أن الأمير قد عقد العزم على القضاء على ابن معوضة فأشاع في الناس بأنه نذر على نفسه بأنه إذا تمكن من ابن معوضة أن يقيم قبة على قبر الولي سالم العطاس وأن يؤسس له زيارة سنوية.

وفعلاً كان له ما أراد بعدها أصبح ابن معوضة أحد رعايا دولة آل بريك ووفى الأمير بنذره فأقام هذه الزيارة.

لكن الأستاذ بامطرف يقول: (قصة هذه الزيارة جاءت عندما نشب خلاف بين علي بن ناجي ومحسن بن حسين حول من يمسك بسدة الحكم في الشحر ونتيجة لهذا الخلاف انقسمت الأسرة الحاكمة إلىفريقين متنازعين وهنا وعد علي بن ناجي بأنه إذا آل الحكم إليه سيعمل زيارة سنوية عظيمة لمقام سالم بن عمر العطاس.. وقام بنشر الخبر على العامة عن طريق (الدلل) وبعد أن تم الصلح بين المتنازعين وآل الحكم إلى علي بن ناجي وفى بوعده.. ومن ذلك التاريخ تقام هذه الزيارة) صحيفة الشرارة عدد (٦٠١) ٨٨/٨/٢٤م.

والأمير علي ناجي عند المؤرخ بامطرف هو الأمير الخامس والأخير في الدولة البريكية ويعرف بعلي ناجي الثاني وقد تولى الحكم بعد أبيه ناجي بن علي رابع الأمراء والمتوفي بعمان عام ١٢٤٣هـ والمدفون بقرية (سداب).

وقد طرد آل كثير هذا الأمير بعد أن استولوا على مدينة الشحر في يوم السبت جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ الموافق ١٥ أكتوبر ١٨٦٦م ومات بمدينة الحوطة بلحج في شهر ربيع الأول ١٢٩٣هـ الموافق إبريل ١٨٧٥م.

والمعلوم أن الأمير محسن بن حسين وهو ابن ثالث أمراء الدويلة الذي (تدروش) وخلع نفسه من الحكم بعد أن استمر ستة وعشرين شهراً نازع هذا الأمير وهو محسن بن حسين الأمير علي ناجي الثاني في بداية حكمه حيث أثار فتنة في الشحر سعياً وراء الملك لأنه يتوقع أن يكون السلطان خلفاً لأمير الشحر ناجي بن علي الذي حل محل أبيه المجذوب حسين فقاومه علي بن ناجي ابن الأمير الراحل ودامت الفتنة عاماً.

وتدخل عقلاء مدينة الشحر في النزاع وأبرموا بين الأميرين المتنازعين على الحكم صلحاً تولى بموجبه حكم الشحر علي ناجي (بامطرف، عبد الحق).

ومن الرأيين نستنتج أن الزيارة أسست في القرن الثالث عشر الهجري فهي إما في العقد الأول منه أو العقد الثالث ولم تكن قبل ذلك التاريخ شيئاً.

كيفية الزيارة:

يقول باحسن: (كانت هذه الزيارة المذكورة محشودة بجمعية كبيرة وكان الدولة علي ناجي يخرج لها بنفسه مع جملة من العساكر وتضرب لها المدافع والطيالات ويحضرها خلائق لا يحصون من كل الجهات وهي الآن باقية بهذا الأسلوب).

وقال الأستاذ بامطرف: (تعمل قراءة على قبره من يوم وفاته حتى يوم ١٣ محرم يقام الحول.. وفي تلك الليلة يتقدم مناصب البلد كل في حارته، ووراءهم أخدامهم، آل الشيخ أبو بكر وخلفهم آل حي عقل باعوين وآل المجرف خلف آل الشيخ سعد وآل حي القرية خلف آل الهدار وآل الحوطة خلف آل بن إسماعيل وآل الخور خلف آل الشيخ فضل أما آل عقل باغريب فهم تبع ليس لهم منصب ثم ساروا خلف آل الجنيدي وآل دفيقة - حي الفلاحين اليوم - خلف آل العيدروس وأهل الغيل خلف آل باوزير المعروفين أصحاب القبع.

ثم طورت إلى عدد أي لعبة العدة المعروفة وإلى عهد قريب كان يتقدم هذه العدد المناصب المذكورين من حديث للأستاذ بامطرف صباح الاثنين ١٩٨٣/١١/١٤م.

وإلى ما قبل الاستقلال كان آل عقل باعوين يركبون أحد أفراد آل الشيخ أبوبكر على جمل يتوسط رقصة العدة وقد شاهد هذه العادة من هم في مثل سني وبالإشارة إلى قول المؤرخ باحسن: (إن في بعض السنين منع الدولة عبد الله بن عمر القعيطي.. جميع الزائرين الواصلين من غيل باوزير وغيرهم، وذلك بعد وصول

غالب الناس إلى تحت سدة البلد فأمر بغلق السدة وألا يدخل أحد فطلع آل العطاس واستشفعوا عنده فأبى أن يقبل شفاعتهم وربما حصل منه كلام أوحش به خواطرهم خرجوا من عنده وتركوا الزيارة في تلك السنة رأساً ورجعت جميع الزوار إلى أماكنهم وهم في غاية انكسار الخاطر..) ولربما كانت هذه الحادثة هي مبعث قول الشاعر الغيلي:

سدة الخور عا تبكي بكا طاسة الغيل ردوها ورا
ردوا الكوبرة هي والكلان صب يا غيث والوادي ملان
لو درى باقحيزل ما سرى عاد شي صلح من بعد البرى
بالجنابي وضرب الشنتيان صب ياغيث والوادي ملان

وكانت عدة (طاسة) الغيل تمر بالساحل من بوابة صغيرة بالسور حتى ضريح العطاس فلما كانت أيام الأمير حسين بن عبد الله الذي تولى حكم الشحر بعد وفاة أبيه وأيام أخيه منصر الذي ترك عمله نائباً عن عمه السلطان عوض بن عمر واستولى على غيل باوزير في نحو عام ١٣١٠هـ وبنى حصنه المشهور الذي أصبح فيما بعد المدرسة الوسطى وهو اليوم المركز الثقافي بقيادة الأستاذ القدير محمد سعيد مديحج في تلك الأيام اشتكى أهل الغيل من جراء التعب الذي يلحقهم بمرورهم على الساحل حيث الرمل خاصة مع الشهر العربي الذي يتغير مع أشهر السنة الميلادية إضافة إلى عدم تمكن الناس من مشاهدة عدتهم لأنهم لا يصلون إلى الضريح إلا قبيل المغرب من عصر يوم الزيارة، وكان مقدم الغيل حينها عوض عبد الله بامطرف، تقدم الأمير منصر إلى الأمير حسين بشكوى أهل الغيل فاقتنع وأمر أن تمر عدتهم بمطراق حنين من غير موافقة

جميع أقسام المدينة واعتراض حي عقل باعوين لهذا استعان المقدم بأبناء عمه آل بامطرف أصحاب الشحر لكنهم رفعوا أنفسهم عن ذلك بسبب تهديد آل عقل باعوين بالهدة (العراك والمنع) إن مرت عدة الغيل بمطراق حنين ولم يحصل شيء لأن الأمير حسين رافق عدة الغيل حتى قبة سالم بن عمر.

وهكذا استمرت هذه الزيارة وكل يزيد فيها شيئاً من الحكام والسادة والمشايخ ومقادمة الحويف (ملخص حديث للأستاذ بامطرف).

ومن قبيل الاستطراد نذكر أن الناس يعتقدون أن مسألة مرافقة الأمير لعدة الغيل لم تتم إلا في سنة أخرى حيث حدث فعلاً عراك (هدة) بين أهل الغيل وأهل الشحر والتي قتل فيها أو جرح سبعة أشخاص من أهل الغيل لكن بعض الرواة يقولون أن هذا الحادث إنما وقع أيام والده السلطان عبد الله وبعد اكتمال بناء السور حول المدينة وعلى إثره أوقف السلطان عدة أهل الغيل من الزيارة كما أشرنا.

ويرفض أهل الغيل هذا من أساسه ويقول الشاعر أبو سراجين محمد أحمد باوزير: (إننا لا نعرف أحداً من الذين قتلوا في هذا العراك الوهمي) لكن أهل الشحر يقولون ليس علينا حفظ أسماء قتلاكم وعلى أي حال فالعامة تنسى نتاج كثير من الحوادث.

فهم لا يذكرون أسماء أفراد قبائل الحموم الذين تم ذبحهم أمام بوابة الشحر الشمالية (العيدروس) ولم يعودوا يذكرون أسماء شهداء

القصر السلطاني بالمكلا غير أن الأستاذ بامطرف يؤكد حدوث ذلك العراك بالشحر والشعراء الشعبيون يذكرون هذه المسألة كثيراً خاصة عندما يلتقي شعراء من الشحر والمكلا مع شعراء الغيل في رقصة الشواني أثناء موسم الزيارة أو في غيرها.

وسوف نختار بيتين من مساجلة على رقصة الشواني بحي الحارة بالمكلا عام ١٣٦٦هـ اشترك بها الشاعر حسين بن باخميس الحباني وأبو سراجين وآخرون.

الحباني:

أنت معك واحد وانا بركعت سبعة يا صور
وانت تنشد عا ديار الغيل هتهن دار دار

أبو سراجين:

ذلا دعاية كاذبة خل القوارة يا قور
لو كان هذا صدق كيه هت لي الحقيبة والشوار.. الخ

وعلى أية حال فإن الأمير حسين هو الذي أصدر أمراً بإعادة تقسيم الحارات ورسم الحدود بينها بإضافة أو إلغاء بعض الأزقة والمنازل لهذا الحي أو ذاك خاصة حي عقل باعوين وحي عقل باغريب ووضع ترتيباً لمرور (العدد) إلى قبة سالم بن عمر عصر يوم ١٤ محرم من كل عام وهو كما يلي بالترتيب:

** حي المجرف وتكون عبر حيهم إلى الضريح مباشرة.

** حي القرية وذلك بالمرور إلى شارع رقيص عمرو إلى الضريح.

** حي عقل باعوين إلى السوق ثم مطراق حنين إلى شارع رقيص عمرو.

** حي الغيل وكانوا يمرون ويسقطون مباشرة على الضريح أما اليوم ومنذ أمر الأمير حسين فيخرجون من حي القرية إلى شارع رقيص عمرو.

** حي عقل باغريب من حصن ناصر إلى مطراق حنين إلى رقيص عمرو.

** حي الحوطة من حيهم إلى السوق إلى مطراق حنين.

** حي الخور من حيهم عبر الحوطة إلى السوق.

وتدور كل عدة على الضريح وتدخل بيت آل العطاس ثم تعود بنفس الطريق بع المغرب كل إلى حيه.

لقد حدثت بعض العراكات بين هذه الأحياء في هذه المناسبة وفي غيرها وقد خلدت الذاكرة الشعبية بعضاً منها، وكان آخرها ما حدث بالقرب من الضريح حيث تعرض بعض أفراد من حي عقل باعوين بعد أن وقفوا صفاً فيما يظنون أنه حدود حيهم مانعين (عدة) حي عقل باغريب من أن تزل الحدود الوهمية فعرضوا أنفسهم للضرب حيث انهالت على رؤوسهم أعواد العدة، وشاهدت بنفسي ثلاثة منهم والدماء تسيل على وجوههم وملابسهم بعد أن تم نقلهم إلى دكة منزل الشاعر حسين أبوبكر المحضار وهم: العاقل حسين سعيد حيدر والمطرب سالم محضار خمور وكاتب الأوقاف حاج

كرامة حمود، حدث ذلك عصر يوم ١٤ محرم ١٣٨١هـ الموافق ٢٧ يونيو ١٩٦١م، ومن يريد الاستزادة فليطلع على محاضرة الأستاذ بامطرف (كيف كنا وكيف أصبحنا) وبحثنا عن رقصة العدة صدر عن مركز الأبحاث بالمكلا عام ١٩٨٣م.

وكان الشعر العامي حافلاً بذكر أكثر هذه الحوادث وتخليدها وما جرته من ويلات وكان (مطراق حنين) قد أخذ نصيب الأسد:

ويا مطراق حنين جاك منكر وجاك نكير بايكمل حسابك
ويامطراق حنين شد باسك رجال الغيل لي بايعبرونك
دين يا مطراق حنين لك عندنا واليوم حل الوفاء

والمطراق هو الشارع الذي يطرقه الكثير من المارة، وربما اكتسب الشارع هذه الشهرة والتسمية من أيام حوادث الغزو البرتغالي على مدينة الشحر أو لكونه جزءاً من السوق الرئيس فهو يمتد من فوهة السوق الشرقي وحتى مسجد عمرو ويليه شارع (رقيص عمرو) الذي يمتد شرقاً حتى ساحة مسجد الشيخ سعد وحصن المعصورة إلى قبة العطاس صاحب الزيارة.

ومطراق حنين الحد الفاصل بين حي عقل باعوين من جهة الشمال وحي القرية من الجنوب ويعده أصحاب حي عقل باعوين جزءاً من حيهم لذلك رفضوا مرور أهل الغيل به ولم يكونوا مرتاحين من قرار الأمير حسين بن عبد الله لغرض مرورهم بالشارع.

يدلنا ذلك ما قاله الرواة فقد دخل الشاعر والأمير حسين واقفاً على إحدى الدكك مشاهداً للرقصة وبجانبه بلال عبد الله الحبشي

وهو من حاشيته والمسؤول المالي له ولأبيه من قبل، قال شعار العدة عمر بارماده:

سلامي سلام الله على حسين عبدالله
وعا بلال والناس الذي عندهم حضار
طبيني ولا اسخا به دعي له بنصر الله
منعني من الدورة إذا جيتهم دوار

ولكن أصحاب الرقصة تنصروا بدلاً من الشدو بالقصيدة ولحنها وهذا يدل على عدم رغبتهم فيها ومطالبتهم الشاعر بإبدالها.

وسوف يطول بنا المقام لو تتبعنا كل ما قيل عن الزيارة ولعبة العدة والشواع التي تمر بها وإحداث العراكات القديمة والحديثة والمدائح في السلاطين والمشايخ والمقادمة وهجاء الآخرين وأغرض الشعر الأخرى وسيجد الراغب في الحصول عليها في مظانها.

وفي النصف الأخير من القرن العشرين رأينا إضافات كثيرة تقام على هامش الزيارة حيث أضيفت رقصات أخريات وأقيمت فعاليات ثقافية كالمسرحيات والعروض الفنية والليالي الفنية الطربية رقص وغناء ومعارض فنية ومعارض كتب ومعارض تجارية ومباريات رياضية ومسابقات فنية وفكرية وغير ذلك.

وكان سلاطين الدولة القعيطية السابقة يحضرون أحياناً كثيرة بأنفسهم أو يرسلون نواباً عنهم ولكنهم حريصون على إرسال الفرقة

الموسيقية النحاسية السلطانية التي تجوب شوارع المدينة الرئيسة وهي تعزف الألحان الشجية المختلفة، وعن هذه الزيارة استقت الفرقة عدداً من ألحان رقصة العدة الشعبية الشجية.

وقد سمعنا ثلاثة منها وهي من ألحان الشاعر عمر مبارك قزيل رحمه الله تعالى.

آراء حول الزيارة:

ليس لي أن أتطاول إلى ما لا أحسنه أو ما لا أعرفه، ولهذا فلن أكتب شيئاً عن تحريم أو إباحة مثل هذه الزيارات الموسمية التي تقام حول أضرحة وقباب وقبور بعض الأشخاص فهذا دور الفقيه، ولكني أحاول هنا أن أقوم بما يقوم به المؤرخ أو الباحث وهو نتاج قراءة أولية أو سماع راوية أو مشاهدات ميدانية أنقلها إلى قراء هذا المقال بغية التباحث والتثقف وأرحب بكل تعقيب يصحح ويثري الموضوع ويكمل النواقص والكمال لله وحده.

ولسوف أختصر رأي المؤرخ باحسن الذي سجله في كتابه النفحات المسكية: (فمنذ أن أسس الزيارة الأمير علي ناجي القحوم وهي باقية بهذا الأسلوب إلا إنها بدون ما كانت عليه أيام أهل بريك، وفي زماننا هذا عظم فساده وعدم اهتمام الدولة بأمر الرعية والغفلة والتساهل في الأحكام وعدم إنكار المنكر، عم الابتلاء بحضور النساء في هذه الزيارة وغيرها. وهذه موبقة شنيعة ينبغي التيقظ والانتباه خصوصاً في وقت الليل لحضور الأسافل والأوباش ومن لا يحجزه خوف الله، بل هذا أمر ترتب عليه مفاسد عظيمة منها: تضييع الصلوات في الملاهي ولعب السخريات إلى غير ذلك من

أمور لا يرضاها كل مؤمن حليم إلا من أغواه الشيطان الرجيم. وترى الأحمق الجاهل يقول هذا مقام الولي فلان مالك وللاعتراض فالولي حاله يسع الكل.. على إنا لا نقول بإبطال تلك الزيارة أصلاً ورأساً.. لأن زيارة الأولياء قربة مستحبة وكذا لرحلة إليها.. وسئل العلامة عفيف الدين عبد الله بن عمر بن أبي مخرمة في فتاويه العدنية لو كان تتبع الجنازة بأنواع من المنكرات كخروج النساء واختلاطهن بالرجال هل يكون معذوراً في ترك الخروج إذا لم يمكنه نهي المنكرات؟ فأجابه رحمه الله تعالى لا يترك الحق لأجل الباطل فإن قدر على إنكار شيء في خروجه فعل وإن عجز كان معذوراً ومأجوراً على كراهة ذلك بقلبه..).

وفي نفسي شيء من عبارة باحسن (قربة مستحبة.. والرحلة إليها) وأتعجب كثيراً من قياسه في الخروج للزيارة بالخروج للجنازة مع أن الجنازة فرض كفاية فهل زيارة العطاس أو غيرها فرض كفاية؟!

لقد مر معنا رأي الأستاذ بامطرف في مثل هذه الزيارات ولا بأس بإعادته هنا (لقد وجدت الخرافات والبدع طريقا إلى عقول الناس وحمل الأموات صفات ترفعهم إلى منزلة الأنبياء ونسجت حولهم الحكايات والخوارق).

أيام الزيارة:

هذه صورة لأيام الزيارة منذ نصف قرن تقريباً وحتى نهاية السبعينات من القرن الماضي:

** عصر يوم ١٢ محرم هو أول أيام الزيارة حيث يقيم حي المجرف رقصة العدة ثم الشواني حيث التجمع أمام قبر (حباب رقوان) ويقع خارج القبة وهو لحفيدة المترجم له رقوان محسن سالم بن عمر.

** عصر يوم ١٣ محرم يقال لها (الغيلي) حيث تدخل عدة أهل الغيل إلى ساحة السوق من سدة الخور وإلى حي القرية ويقصدون بيت بامتيرف وكان مقدم الحي في الماضي.

** عصر يوم ١٤ محرم هو الزيارة الرسمية للعطاس وتشترك فيه كل (العدد) بالترتيب الذي أوردناه ثم تدور حول الضريح أما الأفراد فيدخلونه ويمسحون على القبر أما أصحاب القبع فيقعدون على دكة واسعة بالجانب الشرقي ويؤدون ما يعرف بالحضرة ويترنمون بالابتهالات والمدائح على ضربات الطارات وأنغام الشبابات وتعرف هذه الدكة بالعشوي.

** عصر يوم ١٥ محرم زيارة فضل بن عبد الله بافضل الشهير بابن عباس والمقبور خارج البلد سابقاً ويقع ضريحه ومسجده غرب حي الخور (انظر ترجمته في طبقات الخواص للشرجي) وتقام في ساحته رقصتي العدة والشواني من حي الخور كما يشارك حي القرية برقصة العدة ويندس معهم أعداد كبيرة من أهل الغيل.

** صباح يوم ١٦ محرم يسرح أهل الغيل برقصة العدة بعد أن يجوبون ساحة السوق في سبع دورات يقول الرواة أنها منحة من السلطان مقابل سقوط السبعة القتلى أو الجرحى المذكورين سابقاً ويحتفلون عصراً بمدينتهم الغيل بما يعرف (التدخيلة).

** عصر يومي ١٦ و ١٧ محرم يحتفل كل من حي عقل باعوين وحي عقل باغريب كل في حيه برقصة العدة عند قبور من اشتهر عندهم وفي المساء رقصة العدة بالمشعال.

النشاط الاقتصادي:

يوافق هذه الزيارات أو هذه الاحتفالات تجمع كبير من الناس يشكلون كل فئات المجتمع وإزاء هذا التجمع ينتشر الباعة عارضين خدماتهم وبضاعتهم ويظهر أن لهذا نظير ومثيل في الأسواق التي كانت تنتشر كثيراً في قرى ومدن ووديان ومناطق كثيرة في كل أنحاء الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام وبقيت بعضها إلى وقتنا الحاضر مثل سوق الأحد وسوق الخميس وتكون معروفة الموقع وبينها أسواق سنوية محلية وإقليمية.

وقد اشتهرت من تلك الأسواق العربية السنوية في جزيرة العرب وتعرف بالأسواق العشر.

وتبدأ بسوق دومة الجندل في أول يوم من ربيع الأول من كل عام وتنتهي بسوق عكاظ في أول أيام شهر ذي القعدة وبينها أسواق في جنوب الجزيرة ومنها في حضرموت كسوق قرى الشحر وسوق الرابية وهذه الأسواق الموسمية الكبيرة إلا أن هناك أسواق داخلية سنوية كثيرة وأسواق تسمى بالأيام أو بالأماكن.

وقد اتخذت الأسواق التي تقام عند التجمعات السنوية حول الأضرحة فيما يسمى بالزيارات مثلها في تلك الأسواق القديمة.

ونجد أن كل هذه الزيارات تقام حول أضرحة وقبور من اتفقنا على أنهم أولياء سواء كان المحتفى به مقبوراً أو كان له مشهداً أي قبراً دون جثمان ونلاحظ أن هؤلاء الأولياء أشخاص معروفين لدى الناس مثلاً:

- زيارة الشحر هي زيارة عمر العطاس.
- وزيارة فضل بن عبد الله بافضل.
- وفي الواسط زيارة عمر المحضار السقاف.
- وفي الشعب زيارة أحمد بن صالح بن الشيخ أبو بكر.
- وفي عرف زيارة باحميد.
- وفي المعيان زيارة عمر مسجدي باوزير.
- وفي زغفة زيارة سعد بن علي باثقيلي.
- وفي النقعة زيارة محمد سعيد باوزير.
- وفي الحامي زيارة مكنون.
- وفي المقد زيارة عبد الرحمن بن عمر المقدي.
- وفي حلفون زيارة باغشوة.

وفي غيرها في وادي حضرموت في قيدون وفي المشهد والقطن..

ولكننا نلاحظ أن الزيارات كلها تقام عند أضرحة أولياء معروفين لكن زيارة (عاييات) التي تبعد عن الشحر شرقاً بحوالي اثنا عشر كيل ليس لها ولياً معروفاً ولعلها زيارة أو سوقاً قديمة، وهناك إشارة تؤيد ما نذهب إليه، حيث يذكر الأستاذ بامطرف في فذلكة كتبها عن الملكة سمعون القضاعية التي حكمت الشحر قبل الإسلام.

من إن عاييات وهو اسم قرية صغيرة محرف من لفظة يمنية قديمة هي (عوج بات) وتعني ساحة النذور وهذا يفيد من أن هذا التجمع والاحتفال قديم ومنذ أن كان الجنوبيون ومنهم أهل حضرموت وثنيين. (الفذلكة، مسجلة على شريط).

ويمكننا تقسيم هذه الزيارات إلى حضرية وبدوية (قروية) فالحضرية على ما أعتقد هي التي تقام في المدن والقرى القريبة منها ويكون زمنها ثابت مثل زيارة العطاس بالشحر في ١٤ محرم وزيارة الست بالشعب والواسط وهي الستة الأولى من أيام شهر شوال بعد يوم العيد والتي يسن صومها، أما الزيارات التي تقام أيام نجم (البلدة) وهي الأيام ما بين ١٥ ـ ٢٧ من شهر يوليو من كل عام ويحدد موعد لكل زيارة.

ونلاحظ أن هذه المواعيد الثابتة تتناسب مع الحضر في المدن والقرى القريبة منها حيث حاجة الحضري متوفرة في أسواقه دائماً وإنما يختار من هذه الأسواق الموسمية الأجود والأرخص والجديد ولكن الأسواق البدوية القروية فهي تقام بعد انتهاء موسم

خريف التمر وانتهاء العقود المبرمة بين الفلاحين وأصحاب الأراضي الزراعية، وبداية العقود الجديدة فيخرج الفلاح مثلاً والبدوي ولديه شيء من إنتاجه من الثمار المجففة والحبوب وما رباه من ماشية ولديه ما وفره من أموال وما أخذه من أصحاب الأرض كقدمة للعقد الجديد فيجد في السوق ما يفيده فيبيع ما لديه ويشتري ما يحتاجه في العام الجديد من ماشية وأدوات زراعية منزلية وأقوات ، هكذا أظن.

الهدف السياسي:

يظهر أن الوجاهة لسالم عمر واعتقاد الناس بولايته قد استغل سياسياً من قبل مؤسس الزيارة ومن خلفه، وهذا ما نستفيده من نذر الأمير على نفسه بإقامة الزيارة الحولية وبناء الضريح وإشادة القبة رغم أننا نعرف ماجاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا نذر في معصية).

ثم إن خروج الأمير للزيارة بنفسه كما يقول باحسن ومشاركة آل كساد ممثلاً في الأمير الحالي أو من ينوب عنه كما يقول بامطرف هي دلالة سياسية ثم إن الترتيب المعين لليلة الزيارة حيث يمر منصب كل حي وخلفه أخدامه في أول الأمر ثم خلفه رقصة العدة على الأمير ثم التوجه إلى الضريح، وكذلك مقادمة الأحياء ومقادمة بعض القبائل والوجهاء والأثرياء وعلية القوم، تدل على أن هذا الترتيب وضع لغرض سياسي هدفه إعلان الولاء للأمير والتبعية للسلطة القائمة آنذاك، وعندي أنها تشبه إلى حد بعيد

ما يروى من أن قبيلة العوابثة خرجوا بعد رؤية مسودة اتفاق مع الأمير علي بن ناجي وهم يرتجزون في زامل لهم:

قـل لبن ناجي علي مـا انته الرب الإله
رأس بوعوبث غلب ما يعاهد ع الصلاة

فما الذي يرمي إليه الأمير بوضع بند في المعاهدة يطلب منهم الحضور لصلاة الجمعة بجامع الشحر، أليس المقصود به وهو الإذعان لأمره أو ضرورة الحضور أسبوعياً لإعلان الولاء والتبعية وكأنه التوقيع بأحد مراكز الشرطة أو الأمن في زمننا، ألا يشبه هذا الإقامة الجبرية أو ما يسميه أهل الشحر (حبس عز) لقد فطن العوابثة لهذا الأمر فرفضوه.

وماذا يعني حضور أو عدم حضور الأمير الكسادي أو من ينوب عنه ألا يدل هذا على الأجواء السياسية بين الإمارتين.

لقد صورت لنا الرواية الشعبية مشهداً مهماً مفاده أن الشاعر سعيد هادي الشنظوري حضر للزيارة وهو من حاشية الإمارة الكسادية فكان مندوباً عنها أو ضمن لوفد الرسمي وتوجه عصر يوم الزيارة ليسلم على الأمير الجالس أو الواقف على دكة الحصن (المعصورة) وهو اسم الحصن الشهير الذي يقع إلى الشمال الغربي من مسجد الشيخ سعد الدين الظفاري وغرب منزل الشاعر حسين أبو بكر المحضار ولا زالت بقايا الحصن المهدم باقية إلى يومنا هذا.

كان الأمير يرافقه عدد من رجال إمارته وأفراد من بيت الإمارة وربما ثلة من الجنود كما يخيل إلي من إشارة المؤرخ باحسن ومنهم الشاعر عمر أحمد بن بريك الذي صافح شاعر المكلا وقال:

ألا يا مرحبا بالفتى سعيد هـــادي
منسب ينتسب من فروع الجد والخال

وكان يشير إلى ما قيل في نسب الشاعر وأنه (سبقه) وربما يريد الإساءة إليه أو أن في الجو ما يعكره بين لدولتين، وأجاب الشاعر سعيد قائلاً:

ومن تبعتــه ميتين ســودان المجاري
ينال الحصن لزهر ولو قد طال ما طال

وأشار بيده لحسناوات يظهرن من نوافذ الحصن العليا ينظرن إلى المشهد العام للوافدين المشاركين في الزيارة وقيل إن الرد سبب مضايقة للحاضرين.

والذي يهمنا من إيرادنا لهذه الرواية هو نقل صورة لما كان عليه أمراء آل بريك ليلة الزيارة وهم يستقبلون الوفود المهنئة وهي تقدم عربون الولاء والطاعة والاستسلام.

المراجـــع

١ـ باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ـ خ.

٢ـ باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، تحقيق د. محمد عبد النور، تريم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٣ـ بامطرف، محمد عبد القادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام ـ خ.

٤ـ بامطرف، محمد عبد القادر، لمحات من تاريخ اليمن وحضرموت ـ نشر بآلة النسخ.

٥ـ العطاس، احمد بن حسن، تذكير الناس، طبع بالقاهرة، دار الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٦ـ المشهور، عبد الرحمن، شمس الظهيرة، المطبعة الفيضية، حيدر أباد الدكن ١٣٢٩هـ.

٧ـ العلوي، محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، دار الكاتب العربي، ط١ ١٩٤٨م.

٨ـ الجوهي، د. خالد حسن، إمارة آل بريك بالشحر، دار الوفاق ط١ ٢٠٠٥م.

٩ـ العجلوني، إسماعيل محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث بين الناس، ج١/١٤٦.

١٠ـ الشرجي، أحمد الزبيدي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط١ ١٩٨٦م.

١١ـ حداد، عبد الله صالح، رقصة العدة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية عدد ٨ الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

١٢ـ بامطرف، محمد عبد القادر، فذلكة، سمعون ملكة الشحر القضاعية، مسجلة على شريط صوتي ونشره بكتيب الشحر الصادر عن مكتب الإعلام بالشحر.

١٣ـ بامطرف، محمد عبد القادر، كيف كنا وكيف أصبحنا، محاضرة مسجلة على أشرطة صوتية ونشرت ملحقاً لمجلة الواعدون بالشحر.

١٤ـ الشرارة، صحيفة مكلاوية، عدد ٦٠١، صادر في ١٩٨٨/٨/٢٤م.

لقاءات:

١ـ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف.

٢ـ الراوي سالم عوض عبدن.

٣ـ الشاعر أبو سراجين محمد أحمد باوزير.

٤ـ الشاعر عوض سالمين باصالح.


الشحر ترحب بضيوفها الكرام في
زيارة الحبيب سالم بن عمر العطاس
أهلا و سهلا بكم